البـــاب الثانـــى عشـــر

فيمن عرّض بالتطفيل ولم يُصَرّح

- أبو هريرة يلمح بالتطفيل .
- آتنا غداءنا .
- متى أحصل عندك ؟
- لو ترانى وقد وقفت أروى !
- صنعة التطفيل !!

الباب الثانى عشر

(فيمن عرّض بالتطفيل ولم يُصَرّح[1])

أبو هريرة يلمح بالتطفيل :

[١] عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أنه قال :

«كنت ألزم النبى ﷺ لشبع بطنى حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الجديد ، ولا يخدمنى فُلان ، ولا فُلانة ، وألصِقُ بطنى بالحصى ، وأستقرئُ الرجلَ الآية ، وهى معى ، كى ينقلبَ بى فيطعمنى[2] ! » .

[٢] وعن أبى هريرة أيضا ــ رضى الله عنه ــ قال :

إن كنت لأسأل زائدة الرجلَ من أصحاب رسول الله ﷺ عن الآيات لأنا أعلمُ بها منه ، لا أسألُه إلا ليُطعِمَنى شيئا . قال : فكنت إذا سألت جعفر بن أبى طالب ، لم يُجِبْنى حتى يذهبَ بى إلى منزله ، فيقول لامرأته : يا أسماء ! ، أطعمينا ، فإذا أطعمنى أجابنى .

وكان جعفر ، يُحِبّ المساكين ، ويجلس إليهم ، ويحدثهم ، ويحدثونه[3] .

[٣] وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أيضا قال[4] :

أصابنى جَهد شديد ؛ فلقيت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه ــ فاستقرأته آيةً من كتاب الله تعالى ، فدخل داره ، وفتحها علىَّ ، فمشيت غير بعيد ؛ فخررت لوجهى من الجَهْد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسى فقال :

---

(١) يقال عرّض له بالقول : لم يبينه ، ولم يصرح به ، كما تقول : ألمح إليه من بعيد ، وكل لبيب بالإشارة يفهم .

(٢) فنراه هنا يعرّض بالتطفيل حيث كان يلزم النبى ﷺ لشبع بطنه ، ويستقرئ الرجُلَ الآية **«يطلب منه أن يُقْرئها ويُعَلّمَه إياها»** مع أنها معه ؛ ليعود به إلى بيته فيطعمه ، والحديث أخرجه الخطيب البغدادى بسنده ، ورواه البخارى فى صحيحه كتاب الأطعمة : باب الحلواء والعسل (٢٩٨/٣) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادى بسنده عن المقبرى عن أبى هريرة ، والترمذى فى سننه كتاب المناقب : باب مناقب جعفر بن أبى طالب ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادى بسنده عن أبى نُعيم .

«**ياأبا هريرة ! ؛ فقلت : لبيك يا رسولَ الله ، وسَعْدَيك[1] !! قال : فأخذ بيدى ، فأقامنى ، وعرفَ الذى بى ، فانطلق بى إلى رَحْله[2] ، وأمر لى بعُسٍّ من لبن ، فشربت منه ثم قال : عُدْ يا أبا هريرةَ ، فعدت ، فشربت ، ثم قال : عُدْ يا أبا هريرة ، فعُدْت فشربت حتى استوى بطنى ، فصار كالقدح ، ورأيت عمر ــ رضى الله عنه ــ فذكرت له الذى كان من أمرى ، قال : قلت له : قولى ذلك : من كان أحق به منك يا عمر !!**

والله لقد استقرأتك الآية ، وأنا أقرأ لها منك !

فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ لأن أكون أدخلتُك أحبّ إلىّ من حُمْر[3] النَّعَم» .

آتنا غداءنـا :

وقال أبو حاتم : خرج بعضهم يعود مريضا فى أقاصى الكوفة ، فلقيه أبو حنيفة ، وأبو بكر الهذَلىّ ، فقالا له : إلى أين تريد ؟ قال : أعود فلاناً ، فقالا : نعوده[4] معك . فتبعاه إلى المريض ، ليعوده ، فقال أبو حنيفة لأبى بكر : إذا قعدنا فعرّض له بالغداء ! .

فلما دخلوا ، وتحدثوا ، قال أبو بكر :

﴿**آتنا غداءَنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**﴾[5]

ففطن المريض ، فتمطى وقال :

﴿**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ...**﴾[6] الآية

---

(١) لبيك : لزوماً لطاعتك ، أو إلباباً بعد إلباب ، أى : إجابة بعد إجابة . أو معناه : اتجاهى إليك ، وقصدى وإقبالى على أمرك .

وهو مصدر ثنى على معنى التأكيد ، ومثله : سعديك : أى إسعاداً لك بعد إسعاد .

(٢) الرّحل : مسكن ، وما يستصحبه من الأثاث .

(٣) حمر النّعم : أكرم الجمال . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأطعمة : باب قوله تعالى : ﴿**كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ (٣/٢٩٠) .

(٤) نعوده : نزوره .

(٥) الكهف/ ٦٢ .

(٦) التوبة / ٩١ . وفى الآية ما يدفع الحرج عنه إذا هو لم يقدم لهم غداءً .

فقال أبو حنيفة : قوموا بنا ؛ فما عند صاحبكم خير[1] !!

متى أحصل عندك ؟!

قال محمد العتكَى : لقينى أحمد بن سعيد الطائى الكاتب بدمشق ، فقال لى : اقْتَصَدْت ، فكتبت إلى أبى يعقوب الطائى هذين البيتين ، فاستمع بما أجابنى :

كتبت إليه :

حَجَـب الرّحمـنُ عَنّـى ... يا أبَـا يَعقـوبَ فَقْـدَك
أىُّ أُنْـسٍ كـانَ لـى مِنـ ... ـك إذا مـا كُنْـتُ عِنْـدك ؟!

فأجابنـى :

أبَـداً تَحْصُـلُ عِنْـدى ... فمـتى أحْصُـلُ عنـدك ؟!
إن تناصفنـا وإلا ... بِـتَّ يا طائـىّ وحـدك

لو ترانى وقد وقفت أروى !!

وأنشد أبو الحسن الأسدى لنفسه :

كنتُ يا سيّدى على التطفيل ... أمْسى لولا مخافةُ التّثقيـلِ
وتذكرْتُ دهشةَ القارعِ البا ... بَ إذا ما أتى بغير رسولِ
وتخوّفْتُ أن أكونَ عَلى القَـوْ ... مِ ثَقِيلا فقُدْتَ كلّ ثَقِيلِ
لو تَرانِي وقد وقفْتُ أرْوى ... فى دخـولِ إليك أو فى حُلُولِ
لرأيـت العـذراء حيـن تُحَيَّا ... وهى من شهوة على التعجيل

صناعـة التطفيـل :

وعن هبة الله بن مسرة الشاعر قال :

اجتزت أنا وأبو الفضائل إبراهيم بن أحمد الأنطاكى بباب «**رشأ**» غلام الخالدى

---

(١) ومن يتأمل يجد أن هذا ليس تعريضا ، ولكنه تصريح . وما ذكره الخطيب البغدادى أدق ؛ حيث روى الحكاية قائلا : فلما دخلوا عليه ، وتحدثوا تلا أبو بكر الهُذَلِىّ : ﴿**ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ..**﴾ [البقرة / ١٥٥] وفى معرض الابتلاء ، بالمرض وغيره يرد التطفيل تلميحا لا تصريحا بذكر نوع من الابتلاء وهو الجوع !!

الشاعر ؛ فقال أبو الفضائل : لهذا الرجل قد ورد معه من العراق ، فما ترى فى النزول به ، والتعرض لاستماعه ؟! فقلت : على شرط ألاّ أسأله ذلك ، وأنت تتولّى خطابه .

فنزلنا عنده ، وأفضنا فى الحديث ، **وعَرّض أبو الفضائل** باستدعاء الطعام والشراب حرصا على السماع ، فلم يجبه إلى ذلك !! ، واحتج بمعاذير اللئام ، فانصرفْنَا عنه .

قال أبو على فأنشدنى فى ذلك يخاطب أبا الفضائل :

خَفِيتْ عليكَ منازِلُ التطفيل ... فنَزَلْتَ من «رَشَأٍ» بشرٍّ نَزِيلِ
وطرقتَه فطرقتَ ذِئْباً أطْلساً ... أوحَيّةً صَمّاءَ ذاتَ صَلِيلِ
فرقيتَه وقَرَأْتَ كُلَّ صَحِيفَةٍ ... حتى قرأتَ صحيفةَ الإنجيلِ
وزعمتَ أنّ أباهُ من عُظَمائهم ... يُومِى إلى «ثُوفِيلَ» أو «مَنْوِيلِ» .
حتَّى خشيتُك أن تُقَبِّلَ كفّه ... حُبّ الرّجَاء ، وطاعة التّأمِيلِ
أسفى عليكَ وقد أرَقْتَ صبابَةً ... من ماء وجهِك فى سؤال بخِيلِ
فوجدتَ طعم سؤالِه من لؤمِه ... مُرّاً كطعم الحنظلِ المبلولِ
ولقيتَ دُونَ طعامه وشرابه ... ردّاً كطعم الحنظلِ المبلولِ
أقبلتَ تُنْشِدُه وأطْرَقَ مُعْرِضاً ... إطراقَ ذُمّرٍ لطالبٍ بدخولِ
حتى ظننْتُك قاتِلاً وظننْتُه ... من فرط نَحْوَتِه ولِىَّ قتيلِ
وَكفلْتَ لى عنه بكلّ كريمةٍ ... ثم انْثَنَيتَ وأنْتَ شرُّ كفيلِ
وأبَتْ عليك خلائقٌ خوزيةٌ ... تأبى إذا ما قدتَها لجميلِ
هلاّ سألتَ عن الصناعة أهلَها ... فيخبّروك بصنعةِ التطفيلِ
القومُ لا يَغْشَوْن إلا منزلاً ... يغشى العيونَ دُخَانُه مِن ميلِ